في ذكرى رحيله

التأكيد على استمرار ومواصلة النهج الثوري للامام الخميني (قدس سره الشريف)

بقلم: محمد أسدي موحد

مع مرور كل ذكرى لرحيل مفجر الثورة الإسلامية في إيران يتذكر الشعب الإيراني المسلم العظيم وكل الشعوب الحرة المحبة للسلام والرافضة للذل والتبعية للغرب أو للشرق، قائدا عظيما ترك بصماته بوضوح على مسار التاريخ الحديث للشعب الإيراني العظيم ولكل شعوب المنطقة والعالم.. حيث قاد الأُمّة الإسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري بجدارة لا يملكها إلاّ عظماء الرجال، وساقها إلى مجدها الأثيل، وأبرز ما تتمتّع به من علم وسياسة وإيمان، فاستحقّ ـ بكلّ الحقّ ـ وسام التجديد، فكان «مُجَدِّد الإسلام» في زمننا الراهن. ولقد استمسكت الأُمّة بعروة قيادته الوثقى، مطمئنة بأنّها قيادة ربّانية ورسالية، تمتلك كلّ مقوّمات القيادة الإلهيّة، وتتمثّل فيها السيرة النبوية، وتسير على المناهج العلوية، وتتّبع طريق أئمّة أهل البيت المعصومين(عليهم السلام).

وكانت من فلتات التاريخ أن تجمّعت في شخص الإمام القائد ما مكّنه من تسنّم المقام الأسمى في العلم والعمل، فكان واحداً من كبار العلماء بالشريعة الإسلامية، ومن فقهاء الإسلام العظام، ومن مراجع التقليد في الفتوى والأحكام، وكان من أصحاب الآراء الرصينة في الحوزات العلميّة ، فكانت له مدرسته التي تكاملت فيها حلقات الدروس الفقهية والأُصولية، والفلسفيّة، وبالمستوى الأعلى، وقد أغنى سماحته المكتبة الفقهيّة والأُصولية بمؤلّفات قيّمة، ذات المستوى العلميّ الرفيع، خاصة في مجال علم الأخلاق والعرفان الإسلاميّ وتهذيب النفس، و كان فريدا بين أساتذة هذا الفنّ، وله فيه إبداعات فذّة، وتشهد آثاره القيّمة في هذا المجال على نظرته العميقة الثاقبة ، فهذه مؤلّفاته الرائعة في العرفان تُذهل الأفكار والأذهان، وهذا شعره العرفاني يقف أمامه الإنسان حيران، ممّا يحويه من بعيد المعنى، ورقّة العاطفة، وجمال اللفظ، وصدق الوجدان.

ولقد كان رضوان الله عليه يُواظب على تطبيق آرائه الأخلاقيّة ونظرياته العرفانية على الحياة تطبيقاً كاملا، بحيث يراه العلماء مثالا مجسّداً للأخلاق الفاضلة الكريمة. وتكلّلت جهوده ومساعيه بقيادة الثورة الإسلامية المباركة، حيث استفاد فيها من كلّ ملكاته القدسيّة العلمية الأخلاقية والعرفانية. فأبدى شجاعة باهرة في مقاومة السلطات الجائرة المتحكّمة بأقطار المسلمين، إلى حدّ السجن، والنفي، والمطاردة، ووجّه سهام حملاته على المستعمرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، الذين كانوا هم السبب في تخلف البلاد الإسلامية وإثارة المشاكل فيها. ولقد أثبت في هذا المجال ـ أيضاً ـ جدارةً كانت الأُمّة تأملها فيه، وأبدى حنكةً وتدبيراً وبعد نظر، وتجلّد بالصبر على المكاره، وتحلّى بالثبات وسار بعزم وتصميم وجدّ. ونفثَ ـ بكلّ قوّة ـ في المسلمين روحَ الثقة بالنفس، والإطمئنان بالنصر الإلهي، وعرّفهم بمواقع الضعف والقوّة، وأوقفهم على ما يلزم للسير نحو الفوز الأكبر، الذي هو تحقيق حكم الإسلام، فأثار في المسلمين الشعور بالمسؤولية تجاه ما يحدث حواليهم. ولقد يسّر الله على يديه تحقيق الأمل البعيد، بإنشاء الحكومة الإسلاميّة، ذلك الأمر الذي كان مغموراً في قلوب الملايين من مسلمي العالم والذي غطّاه غبار القرون باليأس. فكانت ضياءاً ونوراً في القلوب، وقوّةً وروحاً في الأجساد وأحيى الله ـ بما قام به الإمام ـ كلّ ما مات في قلوب المسلمين من أمل وتطلّع ورجاء، وأتمّ الحجّة بذلك، وأمات بدعوته الواضحة الصريحة كلّ دعوات الباطل، فاندحرت بحركته كلّ الحركات الاستعمارية المشبوهة، من شرقيّة وغربيّة، إسلامية وعلمانية، كانت تدعو إلى غير الحقّ! وقيّض الله للإمام أُمّة الإسلام، التي وجدت فيه خير إمام قائد، وخير مرجع رائد، فكانت خير أُمّة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، إنقادت له، وتحرّكت طوع إرادته وإرشاداته، ونصرته وآزرته، معتمدةً على الله، ومستضيئةً بنور هداه. حتّى أُثكلت بفقده ـ على حين غِرّة من الدهر ـ فبكته الملايين في أرجاء المعمورة،ولطمت الصدور، وأسبلت الدموع، ولبست أثواب الحزن والحداد. وشاء الله أن يكون لوفاته دويٌّ كالصاعقة على أعداء الله، فكانت وفاته مناسبةً مشهودةً

لإظهار عظمة الإسلام ووفاء المسلمين لقائدهم العظيم، فقد عزّ على التاريخ أن يأتي بمثله.

واليوم في الذكرى الثانية والثلاثين لرحيله نقف بإجلال لهذا الرجل الكبير الذي تصدى للاستكبار العالمي والصهيونية البغيضة، ولم يناور ولم يهادن لا قبل انتصار الثورة الاسلامية ولا بعدها وكان شعاره ان (ارادة الله سبحانه وتعالى وكرامة الشعوب هما المنتصر مهما استشرس أعداء الدين والبشرية على امتداد التاريخ). الرجل الذي صنع من تخليد ذكرى عاشوراء اعظم ثورة واقوى دولة في العصر الحديث ولم يكن بيده سلاح سوى التقوى والزهد والكلمة الصادقة وعلو الهمة استطاع بهما ان يقود ايران طيلة عقد من الزمان ويجعل منها ملاذا لكل القوى المطالبة بالعدالة والتحرر، ويعيد للاسلام دوره المشرق ويحمل بجدارة عبء هذه المسؤولية، واستطاع ايضا ان يؤمّن مسيرة الجمهورية الاسلامية رغم كل التحديات المصاعب والمؤامرات والضغوطات التي عصفت بها من كل جانب.

وبفضل قيادته الربانية انطلقت الصحوة الاسلامية المباركة في ارجاء الارض والتي عملت على لجم العربدة الاميركية ـ الاوروبية ـ الاسرائيلية في الشرق الاوسط وانحاء العالم .. الصحوة التي عززت ايضا مواقع المجاهدين والمقاومين في لبنان وفلسطين وسوريا واليمن والعراق وجعلت منها ارقاما صعبة ومؤثرة جدا في المعادلات الدولية والانتصار الاخير الذي حققته المقاومة الاسلامية في فلسطين خير دليل على ذلك.

فالإمام الخميني قاد الثورة الاسلامية في ايران ليقول للعالم اجمع ان الاسلام هو الحق وان الاسلام هو ان لا ننسى قضايانا المصيرية التي تضعنا في المواجهة مع قوى العدوان والاستكبار، وليقول ان "اسرائيل" شر مطلق وغدة سرطانية لابد من ازالتها من الوجود لكي تعود فلسطين الى اهلها وتنعم امم الارض بالامن والسلام والتعايش الودي والانساني وذلك بعد القضاء على النزعة العدوانية التآمرية الصهيونية في العالم.

الامام الخميني هو القائد الذي كان شعاره التوكل والصبر والعزم والحزم .. القائد الذي تحدى اعتى القوى الامبريالية ولم يسمح للخوف والانكسار ان يتسللا الى نفسه الابية الامر الذي جعل الامة تدين له بالولاء والطاعة كما جعل ابناء الشعب الايراني المجاهد يذوبون في نهجه الخلاق ويحققون اليوم اعظم المنجزات والمكاسب التي يفخر بها المسلمون والاحرار والشرفاء جميعا.

ان نهج الامام الخميني كان ولايزال هو نهج الثورة واستنهاض همم الخيّرين لبناء الحاضر وضمان المستقبل، وقد واصل قائد الثورة الاسلامية سماحة الامام الخامنئي (دام ظله) هذه المسيرة الصاعدة بما ارتقى بالجمهورية الاسلامية الى اعلى المراتب، فايران اليوم آخذة بنواصي المعرفة والعلوم والتقانة النووية والفضاء والتسلح ولها دور اقليمي ودولي يدين له الاصدقاء والاعداء على حدٍّ سواء.

لقد رحل الامام الخميني تاركا وراءه أرثاً عظيماً من الانتصارات والعظمة والايمان والبصيرة والثقة بالنفس ، كما استطاعت الثورة الاسلامية التي قادها بحكمته وحسن تدبيره ورؤيته الثاقبة ان تعيد الوجه الحقيقي للجهاد الحق الذي يتصدى اليوم ببسالة لكل التحركات الاستكبارية والفتن التكفيرية والسلوكيات الارهابية التي جاءت بها اميركا و"اسرائيل" لتشويه الاسلام المحمدي الاصيل وللحيلولة دون تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الغاشم.

المؤكد ان المشروع الاسلامي الذي اطلقه الامام الراحل (طاب ثراه) تجلى اليوم في تعميق مفاهيمه وزيادة نجاحاته على مستوى الامة من خلال المواقف النبيلة التي جسدتها الجمهورية الاسلامية النابعة من المفاهيم التي رسخها الامام الخميني ومن الدور الريادي الذي تضطلع به ايران في المرحلة الراهنة. فالمواقف التضحوية الخالدة لسماحته الامام التي اثمرت ثورة اسلامية زلزلت المؤامرات والمخططات الاستكبارية في الحقيقةجعلت من ايران دولة عظيمة يحسب لها الف حساب وجعلت منها نصيرا لجميع المستضعفين والاحرار وقائدا لمحور المقاومة بوجه التحركات الصهيواميركية الشريرة في منطقتنا الاسلامية والعربية.وكل ماتقوم به ايران اليوم يؤكد في الحقيقة على استمرار ومواصلة النهج الثوري للامام الداعي الى رفض الظلم ومقارعة الظالمين والمستكبرين وسيادة القيم الانسانية والمعنوية في العالم وقد اكد على ذلك سماحة القائد الإمام الخامنئي عندما قال: (إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكلّ صراحة أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباريّ لا غير، وأنّ الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكلّ قوّته، وأنّ عصر الإمام الخميني مستمرّ وسيبقى مستمرّاً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه هدفنا

وإرشاداته المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل).